

## بطنك يوجعني

روى لي أحد الإخوة الأطباء قصة أحد المرضى الذي كان برفقة والده والذي أخبره أن ابنه يعاني من ضعف في السمع وتأخر في النطق وصعوبة في الاستيعاب وقد قصد هذا الطبيب بعد أن نصحه الناس به وبعد أن قطع الفياقي والقفار للوصول إليه لحل هذه المشكلة الصعبة. وبعد الكشف على الطفل وجد هذا الطبيب سوائل في الأذن الوسطى تعيق حركة الطبلية مما يسبب ضعف السمع عند هذا الطفل. علماً أن هذا المرض منتشر و بمقدور أي طبيب تشخيصه و علاجه – ومن ضمنهم جدتي – ولا يحتاج الى قدرات أو كرامات هذا الطبيب الألمعي.

أخبر الطبيب والد الطفل أن ابنه بحاجة الى أنابيب في الطبلية. فقال له هذا الأب يادكتور كله إلا الأنابيب ما نبغها. فقال له هذا الصديق بأن حالة ابنه متقدمة ولن ينفع معها علاج آخر. فقال الأب: يادكتور هل فيه علاج في الخارج؟ تراني ميسور وما عندي أعز من ولدي فقال له صديقي أن هذا العلاج هو ما سوف يجده في كوكب المريخ إذا كان في هذا الكوكب أطباء.

فقال له الأب جزاك الله خير وقد أخبرني العديد من الأطباء بهذا..... وأخذ ولده وهو غير مقتنع بالعلاج بالأنابيب و قال لصديقي أنه يعرف طبيب شعبي قال "بيكويه وبخف".

فقال له هذا الطبيب ممكن أسأل سؤال قبل ماتكويه؟! فقال الأب وش سؤالك؟ فقال له لماذا ترفض إجراء الأنابيب مع أنها عملية سهلة ونتائجها بعد توفيق الله مضمونة؟

فقال له هذا الأب يا دكتور عندي عشرة أولاد صغار والله يهديهم لو شافوا هذه الأنابيب تعلقوا فيها وكسروها.

كانت هذه الكلمات كالصاعقة على هذا الطبيب فهل من المعقول في نظره أن أحد لا يعرف الأنابيب وهي أشهر عملية تجرى للأطفال وهل من المعقول أن أحداً لم يشرح لهذا الأب هذه العملية قبل إجرائها. تساؤلات كثيرة عند هذا الطبيب.

عندها جلس مع الأب وشرح له العملية بالتفصيل الممل و أوضح له بعض الصور لهذه الأنابيب فلم يصدق هذا الأب ما سمع. ولكن هذا الطبيب سأل الأب لماذا لم يسأل عن الأنابيب الجمع الغير من الأطباء الذين زارهم فأخبره أن أغلب الأطباء الذين زارهم كانوا أجانب وجلهم لا يتحدثون العربية.

موقف مشابه مر به أحد أقاربي الذي قال لي ياليتني تعلمت اللغة الإنجليزية، فقلت له لماذا فقال أخاف أنني قصرت في بر والدتي قبل أن تموت. قلت له وكيف هذا؟ فقال كانت والدتي في العناية المركزة قبل وفاتها ولم أستطع التواصل مع الطاقم الطبي بسبب عدم معرفتي للغتهم أو اللغة الانجليزية وكنت أتصل على أحد أقاربي في وقت الزيارة وكان خارج السعودية فأسأله السؤال وبدوره يسأل الممرضة والتي ترد عليه ومن ثم هو يخبرني بحال والدتي رحمها الله.

موقف أخير فقد جاءتني مريضة تشكي من لحمية في الأنف اتفق عليها أكثر من طبيب ومنهم من قال أنها بحاجة لعملية إلا أن طبيبة قالت لها "هذي ماهي لحمية ولا تصدقين اللي يقول لك أنها لحمية". وقد راجعتني للتأكد هل أنا من فئة اللحميات أو فئة النباتات!! سألتها سؤال : قبل كل شي ما الذي يتعبك؟ فقالت انسداد في الأنف..... وبعد أخذ التاريخ المرضي المفصل وفحص الأنف وجدت لديها تضخم في قرينات الأنف وشرحت لها عمل هذه القرينات وسبب تضخمها وطرق علاجها ونصحتها بقراءة مقال عنها وبعد التعرف على مرضها بشكل جيد بإمكانها اختيار العلاج الذي يناسبها.

هذه المواقف ومواقف كثيرة تزخر بها ذاكرة المرضى والأطباء لدرجة أنها أصبحت هي الأصل بعد أن كانت من النوادر والفكاهات. وهنا لنا عدة وقفات لعل الله أن يكتب على يد هذا المقال الشفاء العاجل.

الوقفة الأولى: أن المريض في جميع الدول هو محور الخدمات الطبية وهو المرجعية دائماً في اختيار أفضل السبل العلاجية وهو الهدف الأسمى الذي يتطلع جميع أفراد الفريق الطبي إلى ارضائه والتخفيف عنه ولا ينكر هذا الهدف النبيل أي ممارس لهذه المهنة الشريفة.

الوقفة الثانية: تحرص جميع الدول المتقدمة على أن يتقن جميع أفراد الطاقم الطبي لغة المريض كما ويتقنون التواصل معه استماعاً وتحديثاً، وتقيم لذلك الاختبارات التحريرية والنظرية قبل أن يحصل الطبيب على رخصة الممارسة الطبية لديهم، لكن لدينا هذه الحقوق مغيبة والهزم الصحي مقلوب رأساً على عقب فيجب على المريض اتقان لغة الطبيب أو الممرض لكي يصل الى أبسط حقوقه أو على الأقل أن يتقن لغة "بطنك يوجعني".

الوقفة الثالثة: لم يسلم المريض منا نحن الأطباء العرب فقد اختلفنا أيضاً في المسميات وكل واحد منا تبرع لمريضه بما في محفظته اللغوية من مصطلحات وقال "ترجمتي صح تقبل الخطأ وترجمة غيري خطأ تقبل الصواب" ومنا من قال "ما أريكم إلا ما أرى .. وما أهديكم إلا سبيل الرشاد"

الوقفة الرابعة: اعترافنا نحن الأطباء بالتقصير اللغوي تجاه المريض هو نصف العلاج لهذا الوباء اللغوي، الذي يخشى من تفشيه في الجيل القادم.

الوقفة الخامسة: لغتنا ليست مجرد تواصل هي في الحقيقة ثقافتنا التي نفتخر بها وسوف يثريها معرفة ضيوفنا الكرام من أطباء وممرضين لهذه الثقافة، فيرجعون لبلدانهم سفراء لممكتنا الغالية وثقافتنا الأصيلة، ومن يعرف ثقافتنا سوف يدافع عن قضايانا.

الوقفة السادسة: الاختلاف وارد بين الاطباء وكما قيل الاختلاف رحمة لكن أرى أن يكون الاختلاف دائماً يصب في مصلحة المريض ومن الأفضل استشارته في هذا الاختلاف وعدم تنصيب أنفسنا أوصياء عليه كوصاية الكنيسة.

الوقفة السابعة: اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية في وقتنا الحاضر ومعرفتها زيادة في ثقافتنا وتواصلنا مع العالم وقد سأل معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود

الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالله أبا الخيل فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن اللغة الإنجليزية فقال رحمه الله (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لتعلمت هذه اللغة)، وقد سافر شيخنا الفاضل محمد بن عبد الرحمن العريفي لنيوزيلندا لتعلم هذه اللغة لكي تعينه على الدعوة الى الله بالمقابل يجب أن لا يكون هذا الهدف الجميل لدى الأطباء على حساب لغتنا العربية أو على حساب المريض والتواصل الجيد معه.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

**د. عبدالرحمن بن عبدالله حجر**

المشرف على كرسي بحث الإعاقة السمعية وزراعة السمعاعات

<http://faculty.ksu.edu.sa/drhagr>